لا تيأس

للمؤلف

أحمد الراجي

لا تيأس

أحمد الراجي

يعيش بعض الأشخاص اليوم أزمة ثقة حقيقية بسبب متطلبات العصر المتغيرة، مما يجعل الأفراد يعايشون إحباطات متكررة.

إن السبب في يأس الكثير من الأفراد هو عدم توفر الإمكانيات والوسائل اللازمة لتلبية المتطلبات الحياتية. ففي كثير من الأحيان يتم تضخيم الأمور إلى حجم غير واقعي دون الوصول إلى حل ناجع كفيل بإنهاء هذه الأزمة المستفحلة في عالمنا اليوم. كلٌّ يغني على ليلاه، ونحن نحتاج إلى صحوة حقيقية تنهي هذه المعضلة إلى الأبد.

إن مما يبعث على التفاؤل أن كثيرًا من الشباب اليوم يتجهون نحو الاهتمام بالصحة الجسدية والنفسية؛ لأنها أصبحت من أولويات الحياة، حيث إن إهمال هذين الجانبين المحوريين في حياة الفرد كفيل بإبطال وعرقلة السير العادي لحياة الفرد والمجتمع. وهناك وسائل متطورة وناجعة تعمل عليها الآن مراكز الأبحاث والتطوير، ودورها تعزيز الصحة العامة للأفراد والمجتمعات وإنهاء المعاناة اليومية التي تشل كينونة الإنسان وتجعله حبيس أفكار سوداوية يمكن أن تتسبب في تحويله إلى شخص غير سوي.

إن مما يحز في النفس انغماس الكثير من أفراد المجتمع في أمور تافهة، ونسيانهم الهدف الأسمى الذي خُلقوا من أجله، وهو إعمار الأرض وخدمة الصالح العام لما فيه خير للإنسانية والبشرية جمعاء.

«لا تيأس» هو عنوان كتابي الجديد، ولم أختره اعتباطًا؛ فهو النقطة التي أفاضت الكأس. بعد دراسة معمقة لحالة المجتمع الحالي، رأيت أنه من الواجب والضروري إعطاء الأولوية لمشكلة تواجه المجتمع، وهي بكل بساطة فقدان طعم الحياة واليأس من المستقبل.

إني أضع بين أيديكم اليوم عصارة أفكار تولدت بعد معايشة إحباطات متكررة، فليس من السهل أن تجد طريقًا إلى الأمل دون أن تمر وتعتصر في دروب هذه الحياة.

كل دقيقة، وكل ثانية تمر عليك وأنت في يأس وإحباط وحزن، كفيلة بأن تجعل منك شخصًا تعيسًا يسقط عند أول مطب. نعم، إنها الحياة صاحبة الوجهين؛ ففي كثير من الأوقات تمنحنا فرصًا ذهبية يجب استغلالها كي لا نعود إلى نقطة الصفر مجددًا.

إن ما يحز في النفس أن كثيرًا من الأشخاص كانوا ذوي موهبة استثنائية، لكن الظروف لم تحقق لهم طموحاتهم في الشهرة والمجد والغنى. هل هو القدر، أم سوء الطالع، أم عقلية متأخرة؟ لا أعلم، لكنني أعلم يقينًا أن من جد وجد. فكل صانع له مصنوعاته، ولكي لا تبقى حبيسة الأدراج يجب العمل على تسويقها بالشكل الملائم.

إنه الترويج، نعم، الإشهار والحملات التسويقية؛ فلها دور يشبه العصا السحرية في انتقال حالك من حال إلى حال.

لا تكن مثل هؤلاء الذين، بمجرد تلمسهم النجاح، يسقطون في فخ الرياء والإعجاب بالنفس والأنانية. لا تكن مثلهم. إني أعلم تمام اليقين أن للنجاح تبعاته، فكل حالة جديدة لها آثار، أو بالأحرى تأثير، على الإنسان. عليك أولًا أن تضع قدميك على الأرض، وألا تنسى من أنت، وأن تكون متواضعًا، وألا تبخس الأمور، وأن تتذكر من أين جئت.

إني لست هنا لكي أضع النقاط على الحروف، ولست في موضع يخولني تفسير الأمور، ولكنها مجرد رؤية استشرافية وليست حكمًا نهائيًا. فبمجرد رؤية الأمور بمنظور واقعي وملموس، تجد أن لحياتك طعمًا آخر. كل ما في الأمر أنك أزلت اللجام عنك، فأصبحت ترى جيدًا كل ما يحيط بك، متناسيًا بذلك كل ألم أو لحظة قنوط كنت تعايشها.

لا تلم نفسك على ما مضى؛ فالماضي لن يعود مجددًا. انظر إلى المستقبل بعين التفاؤل، فإنك لا تعلم ما يخبئه لك القدر غدًا. فقط لا تيأس. كن كالشمس في سطوعها، وكن كالقمر في أنواره، وكن كالبحر في هياجانه. نعم، أنت قادر على العطاء، لكن هل تعوقك الظروف المحيطة والبيئة المسمومة، أم أنك في منطقة الراحة التي أصبحت ملازمًا لها؟

نعم، التغيير من حال إلى حال يتطلب جرأة ونمط تفكير ثوريًا خلاقًا ومبدعًا، لكي تكون أنت الشمعة المضيئة وسط جحافل الناس. أصبحنا اليوم نبحث عن المتميزين مثل بحثنا عن إبرة وسط كومة قش. وهناك جهد عظيم يُبذل للوصول إليهم، فالمواهب الفذة يجب إحاطتها بالاهتمام والرعاية كي تنمو بسلاسة وبطريقة صحيحة، وكي لا تنجرف إلى براثن اليأس.

ولكن ليس الجميع يحاطون بالاهتمام والرعاية؛ فالظروف تختلف، وكل حسب نشأته وما صادفه من متغيرات. ومع ذلك، لا يجب أن نهمل دور الأسرة في صقل المواهب وتكوينها بالشكل الأمثل، كما لا ينبغي أن نغفل أن الاعتماد على النفس أمر لازم لكل فرد يطمح إلى تحقيق المجد وسطوع نجمه في الأفق.

حتى لو كنت إنسانًا بسيطًا، تستطيع أن تحقق حلمك مهما كان كبيرًا، ولكن كن دائمًا وأبدًا صاحب همة عالية لا تنكسر مهما مرت بك نوائب الأيام. فتحقيق الأحلام يتطلب الجد والمثابرة، والموهبة دون العمل لا تساوي شيئًا. العمل الجاد هو ما يشحذ هذه الموهبة حتى يجعل منك شخصًا ناجحًا مرموقًا في هذا المجتمع.

ولا تكن كالآخرين الذين يمر عليهم قطار النجاح دون أن يركبوه؛ فالحياة لا تنتظر أحدًا. إنها فرصة ذهبية يجب استغلالها بالكيفية المرجوة حتى تعود عليك بالنفع.

فلننظر إلى قصة كريستيانو رونالدو، أحد أشهر لاعبي كرة القدم في العالم. لقد بدأ من ظروف متواضعة، ثم شق طريقه في كرة القدم حتى وصل إلى أعلى مستويات الاحتراف. بدأ حلمه في نادٍ محلي في ماديرا، ثم انتقل إلى البرتغال ليلعب مع سبورتينغ لشبونة، قبل أن ينتقل إلى مانشستر يونايتد ويحقق نجاحات كبيرة. لقد أصبحت قصته بالنسبة إلى كثيرين مثالًا على أهمية العمل والمثابرة واستغلال الفرص.

نعم، إن قصص المشاهير وأصحاب النجاحات الساحقة، لو تأملتها، لوجدت أن كثيرًا من أصحابها مروا بمعاناة وصعوبات قبل الوصول إلى النجاح. المعاناة قد تكون محركًا للنجاح؛ فالحاجة أم الاختراع، والفكرة كثيرًا ما تتولد من حاجة أو نقص ما.

ولنعد إلى قصص العظماء، ولنتأمل قصة ليونيل ميسي، اللاعب الموهوب القادم من الأرجنتين. عانى في طفولته من نقص في هرمون النمو، ثم انتقل إلى إسبانيا، وبدأ مسيرته الكروية مع نادي برشلونة، حتى أصبح واحدًا من أبرز نجوم كرة القدم وحصد العديد من الجوائز العالمية.

إن قصص نجاح وتألق النجوم العالميين بمثابة شعلة أمل توقظ فينا نار الحلم ولهيب النجاح. فقط لا تيأس، ولا تبالِ بمن يقول لك إنك لن تنجح، أو إنك تتوهم أو تحلم بما لا تستطيع تحقيقه. لا تجعل الكلمات الجارحة والتنمر يوقفانك. أحط نفسك بأشخاص إيجابيين، ولا تنسَ ذكر الله، فهو مصدر الطمأنينة والسعادة الحقيقية.

ولا تيأس من أول محاولة، ولا تقل لنفسك: إني فاشل، ولا أستطيع تحقيق هدفي. فالنجاح يحتاج إلى المحاولة والتعلم من الإخفاق. حاول، وحاول مرة تلو المرة حتى تنجح.

أخيرًا وليس آخرًا، لا تنسَ من أنت، وأن الله خلقك لهدف. فقط لا تيأس.

أهدي هذه الأبيات، وأتمنى أن تلقى القبول:

أنا وحيد في كينونتي، أعيش متغيرات كثيرة كسرت وحشتي

تائه في دروب الحياة أصارع نقمتي

أبحث عن فرصة تغير مصير قدر وفقر أنهك نفسيتي

لم أجد من يعينني على نوائب الدهر والسقم

فشمرت عن ساعدي، ووضعت ثقتي في الله وحده حتى أصل إلى مرادي ونصرتي

حتى نجحت في مسيرتي، متناسيًا بذلك كل ألم كان مراودًا لنشأتي

لا تيأس من الحياة؛ فالحياة لعبة، والفائز بها من يستطيع أن يتقبل حلوها ومرها، فهي لا تبقى على حال إلى الأبد.